السودان بين مخاطر الضغوط الخارجية.. وغياب الدور العربي !!

◁ المشهد السوداني الذي تدور فصوله في ولايات دارفور الثلاث غرب البلاد تؤكد أن هذا البلد يتجه نحو أزمة جديدة قد تكون أشد قتامة إن لم ينجح الأشقاء السودانيون في التعامل معها من منطلقات تغليب المصلحة الوطنية والحفاظ على وحدة واستقرار هذا البلد الذي لم يذق أبناؤه طعم السلام طيلة عقود.

محمد القراري

– لاتزال الفرصة بأيدي الشعب السوداني بكل مكوناته سواء الحكومة او المعارضة وحتى التمرد لمنع الانزلاق نحو متاهات المجهول وسحب مبررات التدخلات الأجنبية التي تلوح مؤشراتها من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والأمم المتحدة والتي قد تسفر عن تدخل عسكري مباشر كما يفهم من التحركات والتصريحات الأخيرة الآتية : من واشنطن ولندن متذرعة بالوضع الانساني ووقف أعمال العنف في هذه المنطقة التي تفجرت فيها الأزمة العام الماضي وتسارعت تطوراتها حتى أصبحت الآن أمام مجلس الأمن الدولي.

ضغوط دولية لماذا ؟

– والمثير للتساؤل هو شدة الاهتمام الدولي لما يجري في دارفور سياسيا وإعلاميا بصورة توحي بأن هناك تضخيما لبعض الوقائع وتهميشا لدور حكومة الخرطوم في مساعيها لحل هذه الأزمة عن طريق الحوار مع المتمردين وتخفيف المعاناة الانسانية وإعادة المشردين إلى ديارهم بحسب تصريحات الخرطوم التي استقبلت وزير الخارجية الأمريكي/كولن باول وكوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة مؤخرا وبدأت في تنفيذ تعهداتها بهذا الشأن وسهلت عمل منظمات الأمم المتحدة المهتمه بالشأن الانساني ، كما طالبت المجتمع الدولي بمنحها مزيدا من الوقت لانجاز ما قطعته من وعود لبسط الأمن ونزع أسلحة المليشيات المتمردة ومعاقبة مرتكبي الجرائم وبالفعل نشرت الآلاف من عناصر الشرطة وشكلت لجانا قضائية لتقصي الحقائق وإصدار الأحكام بحق المتورطين وهي خطوات كان يتوجب على أمريكا وبريطانيا دعمها بدلا من السعي إلى تعقيد القضية بنقلها إلى مجلس الأمن والتلويح بإرسال قوات إلى دارفور وفرض عقوبات وما الى ذلك من وسائل الضغط والتدخل بحسب تأكيدات وزير الخارجية السوداني /مصطفى عثمان اسماعيل الذي قام بجولة شملت دولا أوروبية لاطلاعهم على حقيقة ما يجرى في السودان .

دارفور وسلام الجنوب

– أيضا اشتدت الحملة ضد حكومة الخرطوم دوليا في الوقت الذي كانت تجرى محادثات سلام يرعاها الاتحاد الافريقي في أديس أبابا «العاصمة الاثيوبية» مع متمردي دارفور وهو ماشجع المتمردين على التصلب في مواقفهم ومن ثم الانسحاب من مائدة التفاوض التي كان يفترض أن تهيأ لها الفرصة الكاملة لأخذ مسارها إلى النهاية طالما أن المبادرة كانت من قبل الدول الافريقية نفسها وهي المعنية بما يجري أكثر من غيرها في السودان .

إلا أن أطرافاً دولية نافذة في السياسة العالمية لايروق لها أن تكون هناك مبادرات ناجحة لاتمر عبر بواباتها ولاتراعي مصالحها الراهنة والمستقبلية خاصة إذا ما أدركنا أن هناك سباقاً خفياً وغير معلن بين أقطاب ضفتي الأطلسي على خيرات ومقدرات دول هذه القارة التي تعيش كثير من بلدانها أوضاعا إنسانية مأساوية بفعل غياب الديمقراطية وانتهاكات حقوق الانسان وحروب الإبادة العرقية إضافة إلى المجاعات والأمراض والجفاف والتي شغلت الحكومات عن الاهتمام بجهود التنمية والاستفادة مما تملكه هذه القارة من مكونات النماء والرخاء الاقتصادي الذي لاشك سيخفف النزاعات وسيؤدي إلى الاستقرار بدلا مما هو حاصل اليوم في السودان وغيرها من البلدان ، كالكونجو وساحل العاج ورواندا والصومال .

– وتزامن التطور المؤلم في دارفور في الوقت الذي أوشك فيه السودانيون الاحتفال بإنهاء أزمة الجنوب التي امتدت زهاء عقدين من الحروب والاقتتال وتبديد الثروات بعد التوصل إلى اتفاقات سلام حول اكثر المسائل تعقيدا وهي السلطة والثروة في محادثات احتضنتها كينيا ثلاثة أعوام ورعتها مجموعة دول «إيقاد» ولم تتبق لتوقيع الاتفاق النهائي سوى بعض الاجراءات البسيطة التي كان سيجري تسويتها لو لم تلق أزمة دارفور بظلالها على تلك المحادثات في منتجع نيفاشا بكينيا تهددها بالانهيار تماما خاصة عقب تقارير من منظمات دولية تحدثت عن توترات أمنية في إقليم النيل الأعلى بالجنوب بين ميليشيات مسلحة قد تتطور لتتحول إلى شرارة لإشعال حروب الجنوب من جديد ويضاعف الضغوطات على السودان في جميع الاتجاهات فاتحا الباب على مصراعيه للدخول إلى نفق مكتظ بالأزمات الأمر الذي يهدد وحدة السودان ويفتح احتمالات التدخل الاجنبي وما يترتب عليه من مستجدات إن لم يتم معالجتها والحفاظ على ما تحقق من انجازات في هذه الجبهة الجنوبية .

غياب الدور العربي

– والمؤسف إن كل هذه التطورات المؤلمة التي يواجهها السودان أرضا وشعبا تأتي وسط غياب عربي واضح سواء على مستوى جامعة الدول العربية الذي يشكل السودان أحد أعضائها الرئيسية أو على المستوى الدولي وبالذات المجاورة له ، ففي حين يلاحظ تحرك أفريقي ظهر في قمة أديس أبابا بداية الشهر والتي لاتزال تواصل مساعيها لإيجاد حل سلمي وإرسال «٣٠» مراقبا لمراقبة وقف اطلاق النار وتعتزم إرسال قوات سلام الى المنطقة نجد في المقابل صمتاً عربياً غير مبرر في كل هذه التطورات وكأن أمن السودان واستقراره لايعني أمن الدول العربية وبالذات دول الجوار والتي اكتفت بمطالبة المجتمع الدولي الذي يتجه لفرض عقوبات وربما تدخلا إلى التريث وإعطاء فرصة للحكومة للتحرك وهو موقف وصفه بيان الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي الذي عقد هذا الاسبوع في بيروت بأنه شبيه بما جرى بدايات الأزمة العراقية حيث انقسم الموقف الرسمي العربي بين متفرج ومتخاذل ومتواطئ وهو ماقد يكرر نفس السيناريوهات في السودان واقترحت الأمانة العامة في رسالة وجهتها إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية/عمرو موسى إلى إرسال بعثة دائمة من الجامعة الى منطقة دارفور بهدف تقصي الحقائق واقتراح المعالجات وتوجيه مذكرة احتجاج إلى الإدارة الأمريكية تندد بتدخلها السافر في الشؤون الداخلية للسودان واطلاق مبادرة عربية متكاملة لحل الأزمة ورعاية مباحثات حوار سلام وقبل كل ذلك الدعوة إلى اجتماع عاجل لمجلس وزراء الخارجية العرب مخصص للتداول في الأوضاع الجارية واتخاذ القرارات المناسبة ولرفض التهديدات ضد السودان .

– لكن وأمام هذه الدعوات التي وإن لبيت لن تغير من الواقع شيئا حيث إن مشروع القرار الذي تقدمت به واشنطن وبدعم واضح من لندن إلى مجلس الأمن الدولي لفرض عقوبات أو أي خطوات أخرى لوقف الكارثة الانسانية التي تقول تقارير الأمم المتحدة إنها أودت بحياة «٣٠» الف مواطن وتشريد مليون شخص على الأقل والذي تحاول الأمم المتحدة ومن خلفها دول الاتحاد الاوروبي بدأت تتجه في نفس إطار التحرك الأمريكي بوصفه إبادة جماعية وهو ما ترفضه الخرطوم وبدعمها الاتحاد الافريقي كما أنها تنفي الاتهامات التي يحاول الغرب الصاقها بأنها تدعم عصابات الجنجويد المسلحة في الوقت الذي تصفها الخرطوم وبلسان وزير خارجيتها بعصابات لصوص استغلت التمردات المسلحة الأخرى في ولايات دارفور الغربية لتقوم بعمليات القتل والنهب والسلب ووعدت بوضع حد لها إذا ما أعطيت الفرصة المناسبة من قبل المجتمع الدولي بدلا من التهديد بالتدخل والذي هددت الخرطوم بأنها ستواجهه بكل الوسائل بما فيها القتال .

وإزاء هذا الشد والضغوطات الدولية التي يستغلها متمردو دارفور باعاقة أي تحرك سواء من قبل الخرطوم او الاتحاد الافريقي يهدف إلى إنهاء الأزمة سلميا بل يعملوا على توسيعها أكثر مماهي عليه .

ومهما قيل عن المشهد الراهن للسودان هذا البلد ذو المليون ميل مربع لسكانه الـ«٣٠» مليون نسمة ومجاور لـ ٨ دول عربية وافريقية غنية بثرواته وخيراته يظل مستقبله بين يدي ابنائه إذا ما تجاوزوا حروب الاثنياث وصراعات العرقيات وابتعدوا عن التأثيرات الخارجية وانصتوا لمصالح الوطن المتعايش مع مختلف مكوناته الاجتماعية والتسامح مع كل الاختلافات اللغوية والدينية والعرقية تحت راية السودان الوطن بهذا فقط يستطيع الشعب السوداني تجاوز كل مايحاك ضده ومنع السيناريوهات السيئة التي تنتظره .